

اليقظة الدينية من خلال مقالات مصطفى صادق الرافعي الأدبية

RELIGIOUS AWARENESS IN MUSTAFA SADIQ RAFI^C'S
LITERARY ARTICLESد. مصباح تيجاني رابع¹، د. يعقوب الحاج عبد الله²Misbahu Tijjani Rabi¹, YAQUB Abdullahi²1 قسم اللغات أكاديمية الدفاع النيجيري، كدونا، (نيجيريا)، misbahutijjanirabi1966@gmail.com2 قسم اللغة العربية، جامعة إلورن (نيجيريا)، yaqub.abdullahi@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/01/28

تاريخ القبول: 2021/01/07

تاريخ الاستلام: 2020/12/21

الملخص: ابتليت الأمة العربية في طليعة العصر الحديث وبعد اتصالها بالغرب بأزمة الغزو الفكري والانبهار بالحدائث الغربية، الأمر الذي ترك أثرا سلبيا في سلوك الحكام وبعض أبناء الأمة، إذ صاروا يرون كل الخير في الاقتداء بأوروبا ولو كان ذلك يصادم عرف الأمة العربية والأخلاقية الإسلامية. لكن تيقظ بعض الدعاة المخلصين والأدباء الإسلاميين من هذا السبات، فأخذوا يهاجمون الاستعمار الأوروبي، ويدعون الأمة إلى النبذ والتخلص من هذا الغزو الفكري، ثم الرجوع إلى الأصالة العربية والهوية الإسلامية في جميع الشؤون الحيوية. وكان مصطفى صادق الرافعي من الأدباء الذين اتجهوا بفهم الأدبي إلى إيقاظ الأمة وبث الوعي الإسلامي فيها، وعلى ضوء ذلك، تتناول هذه الورقة دراسة اليقظة الدينية في مقالاته الأدبية. وقد اعتمدنا في الدراسة المنهج الوصفي لكشف مضامين المقالات وأسلوب الأديب، فتوصلت الدراسة إلى أن مصطفى صادق الرافعي أديب إسلامي من الطراز الأول، يدعو إلى الأخلاقية الإسلامية والأصالة العربية في عمل أدبي رفيع، يتميز بالوضوح والبيان القرآني وبلاغة السنة النبوية.

الكلمات المفتاحية: اليقظة، الدينية، المقالات، الأدبية، مصطفى صادق الرافعي.

RELIGIOUS AWARENESS IN MUSTAFA SADIQ RAFI^C'S LITERARY
ARTICLES**Abstract:**

The conquest of the Arabs by the western world in the 19th century marked a turning point in the social, cultural and intellectual history of the Arabs in which most of their leaders and citizenry were obsessed and carried away by the western civilization and culture, not considering some aspects that are against their Arabic values and Islamic ethics. This situation prompted some scholars and literates to stage a campaign against the Western colonization and their civilization that were not in conformity with the Islamic teachings. On this note, they began sensitizing their fellow citizens on the importance of upholding their own Arabic culture and Islamic civilization. Mustapha Sadiq Rafi^C was one of the Arab literates whose articles were focused towards achieving this goal. Thus, this paper aims at studying the Islamic awareness in his articles. Descriptive method was adopted to carry out the study. It was established at the end of the study that Mustapha Rafi^C is an outstanding Islamic literate who devoted his articles towards Islamic teachings and awareness.

Keywords: Religious, Awareness, Literary, Article, Mustafa Sadiq Rafi^C.المؤلف المرسل: د. يعقوب الحاج عبد الله ، الإيميل: yaqubabdullahi87@gmail.com

1. مقدمة

استفادت العرب من الغرب في العصر الحديث عن طريق الاحتكاك المعرفي الذي ساعد على النهضة الأدبية في بلاد العرب عامة وفي مصر العربية خاصة، وترك هذا الاحتكاك خلفه فيها آثارا إيجابية وأخرى سلبية. تتمثل الآثار الإيجابية في البعثات العلمية وإنشاء دور المطابع، ونشر الصحف والمجلات وغيرها، بينما تتمثل الآثار السلبية في الغزو الفكري، وإبعاد الأمة العربية عن الإسلام والأخلاق جزاء الله وراء الحداثة الغربية والتبعية للغرب في كل شيء. وقد نهض بعض الغيورين على الإسلام والعربية من أبناء العرب مقاومين تلك الجوانب السلبية ومحاربتها عن طريق توعية الأمة من خلال الآثار الأدبية والكلمة الطيبة. وكان مصطفى صادق الرافعي في طليعة الأدباء الذين وظفوا مقالاتهم الأدبية لمقاومة الغزو الفكري وبث التوعية الدينية في الأمة. وكانت الصحف المصرية تنشر له مقالات أسبوعيا. فهذه المقالة تقدم نماذج من الیقظة الدينية في مقالاته الأدبية، حيث تتناول بعد المدخل أربعة محاور عن حياة الأديب، والأدب والدين عند الرافعي، ونماذج من مقالاته الأدبية، والملاحظات.

2. مدخل

إنه من سوء حظ الأمة العربية والإسلامية، أن أصبحت في عصورها المتأخرة في حالة سياسية واجتماعية سيئة، وذلك حين أصبحت غاية الحكام الأولى هي استيفاء مطامعهم، والجري وراء أهواءهم على حساب ما أودعه الله إليهم من المسؤوليات (ولدان، 2018م، ص 132)، كما أن رجال الدين الذين لا يزالون يتمتعون بالاحترام والتبجيل الفائق من قبل عامة الناس أهملوا مسؤولياتهم إزاء أمتهم، حيث لم ينهضوا لمقاومة الوضع السائد في مجتمعاتهم، بل انجرفوا مع التيار الطاعغي الغاشم والحياة الدينية المشحونة بالخرافات والكهانات، وأنواع النظريات الرجعية المضرة بالدين، وقد فتحو أبواب عقولهم لكل الخزعات والأساطير.

فقد تجاهل المسلمون ما في دينهم من القيم والخلق العظيم، كما تجاهلوا ما في شعائر دينهم من المعاني الروحية، وما ترمي إليه هذه المعاني من تحسين الحياة والعلاقات والمعاملات بين المسلمين من جانب وغير المسلمين من جانب آخر، مما جعلهم قدوة أخلاقية لسائر الناس. وهذا محمد العاكف المفكر التركي يلخص هذه الحالة "رأيت أئمة لا تابع لهم، ورأيت أخا يعادي أخاه، ورأيت نهارا لا غاية له ولا هدف، وليالي حالكة طويلة لا يعقبها صباح" (الرصافي، 1986م، ص 61).

وأما عن الحالة السياسية فهذا الشاعر العربي الشهير معروف الرصافي يلخص ما آلت إليه الحالة السياسية في بلاد المسلمين والعرب في هذا البيت:

حكومة شعبنا ظلمت وجارت

وصارت تستبد بما استشارت

فلا أحدا دعت ولا استشارت

وكل حكومة ظلمت وجارت

فبشرها بتمزيق الحدود

(أبو رية، د.ت. ص 3).

إن هذه الحالة السيئة المؤسفة لم تكن إلا صورة من الحياة العامة التي كان العرب يعيشونها في عصر تتدفق فيه الثقافة الغربية وأناقته إلى بلادهم من كل جانب. فبينما المسلمون يعيشون في هذا التدهور المؤسف تصدق عليهم مقولة الفيلسوف الإسلامي المغربي مالك بن نبي القابلية للاستعمار (تجاني، 1998م، ص 4) "أي أنهم من الناحية النفسية مهيوون للاستعمار ومهيوون أيضا لأن يستلهموا من قبل أمم أخرى لضعفهم الداخلي والخارجي، اقتحم الاستعمار الأوروبي بلادهم يحمل أصحابه معهم عناصر تقدمهم العلمي والتكنولوجي، إضافة إلى تفوقهم العسكري، وتقاليدهم وسياساتهم ما يعاب منها وما يستحسن". وكان رد فعل المسلمين أيام النقائهم بالأوروبيين أن انبهروا بهم وتمنوا أن يكونوا أمثالهم، طبقا لقول ابن خلدون أن النفس دائما "تعتقد الكمال فيمن غلب عليها وانقادت إليه" (ابن خلدون، 1983م، ص 120). فسرعان ما انشأت المدارس على النمط الغربي، فحركة البعثة العلمية، ثم الحياة النيابية، وتأسيس الجامعات. ولم يأخذ وقتا طويلا حتى انتشرت وتمكنت الظاهرة الغربية على عقول الجيل الجديد من أبناء العرب.

وعلى هذا فالجيل الجديد لا يعرف من الحياة النموذجية إلا ما يعايشه الأوروبيون وزخرفها، ولا يرى الخير إلا من خلال منظار أوروبا، بل بدأ بعضهم يفكرون في نبذ القيم الإسلامية الموروثة والحياة الروحية، وشرعوا يهاجمون هذه القيم ويصفونها بالرجعية، وأصبح العالم الإسلامي في مسيس الحاجة المتزايدة إلى من يفقههم من سباته العميق وخاصة من وجهة نظر دينهم. ومن الذين تنبهوا إلى هذه الحقيقة منذ الوهلة الأولى الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده.

ولم يكن مصطفى صادق الرافعي إلا ثمرة من الأثمار التي أنتجتها بنات أفكار هذين المفكرين، وهو أديب بارع، وعلم من أعلام فن المقالة في عصره، وقد حارب التيارات الغربية في عصره بكل حذافيرها، كما نادى إلى يقظة الأمم الإسلامية من سباتها العميق.

3. نبذة عن مصطفى صادق الرافعي

ينتهي نسب مصطفى صادق إلى أسرة الرافعيين. وهم من سلالة الخليفة الثاني الراشد عمر بن الخطاب، وقد أثمرت هذه الدوحة الرفيعة عددا غير قليل من رجال العلم والفقه، والأدب، والسياسة، والصحافة، والتاريخ، والمحامات، وحفظت كتب التراجم أسماء وسير حوالي أربعين رافعيًا من القضاة الشرعيين في مصر والشام. ومصطفى صادق الرافعي من مواليد بهتيم محافظة القليوبية 1881م. نشأ في هذه الأسرة، وترعرع في جوها

وقضى قدرا كبيرا من حياته الأولى تحت كفالة أبيه، الذي أحفظه القرآن، ولقنه العلوم الدينية. وقد التحق بالمدرسة الابتدائية متأخرا جدا، وترجع العلة في ذلك إلى شغله بحفظ القرآن. ومع هذا التأخر لم يستطع أن يكمل تعلمه الابتدائي بل اضطر إلى التوقف لأن ظروف العمل الحكومي الذي كان يمارسه أبوه جعله ينتقل من بلد لآخر. وعلى الرغم من شهرة أسرته بعملية القضاء الشرعي إلا أنه لم ينخرط في هذه المهنة، فقد اختار صناعة الأدب وخاصة الفن المقال الذي أرق كل أوقاته فيه حتى برز فيه كثيرا من معاصريه (العيان، 1955م، ص 16).

وقد عاش مصطفى صادق الرافعي حياته وهو مبتلى في معظمها بأنواع من الأمراض ما جعله طريح الفراش لمدة طويلة في شبابه، فإذا هي هذه الأمراض تترك أثرها السيئ فيه، وتحدث في صوته حبسة، ووقرا في أذنيه، فأنتهى به الأمر إلى الصمم التام، وهو لم يجاوز ثلاثين من عمره، ولم يسع الناس مخاطبته إلا بالكتابة. وبالرغم من هذه النكبة، فإنه لم ينكسر قلبه ولم تفتر همته، فقد ظل عاكفا على مطالعة الكتب التي في مكتبة والده الحافلة بالكتب في شتى الفنون والعلوم من الفقه وأصوله، واللغة، والأدب، كما كان يكتب خلال ذلك مقالة أدبية تلو أخرى للصحف المصرية (العيان، 1955م، ص 16).

كان مصطفى صادق الرافعي على رأس جماعة من معاصريه الذين سخرُوا أقالهم ذودا عن الإسلام وقيمه من هجمات المستشرقين وأذئابهم من أبناء العرب المتغربين. إذ لم يغب عن أنظاره الوضع الاجتماعي الإسلامي المتدهور الذي كان يعيشه المسلمون والعرب، فاختار فن الأدب بفنونه لمقاومة الوضع السائد في عصره. ففي الوقت الذي لجأ فيه المتغربون من معاصريه إلى وجهات النظرات الغربية في محاربتهم للوضع السائد في بلاد العرب، اختار الرافعي أن ينافح من وجهة النظرة الإسلامية معتقدا أنها هي خير وسيلة لمقاومة هذا الوضع. فهو ينافح من الداخل وعن طريق الأدب.

4. الأدب والدين عند الرافعي

الدين بغض النظر عن مصدره ولونه واتجاهاته حقيقة ثابتة، لا تزال ترافق الحياة البشرية منذ بدايتها، وستظل ترافقها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. والدين لم يكن إلا عقيدة يلتزم بها فرد، وهي ذات مسميات عدة، فقد تسمى فكرة تارة عند البعض، أو مبدأ عند الآخرين، وقد تكون هذه العقيدة سماوية أو نظرة فلسفية إلى الحياة أو فهما خاصا أو تفسيراً مشوها لبعض العقائد السماوية يتبناها فرد، يقدها ويعتبرها خير منظار يرى من خلاله الحياة (شراد، 1992م، ص 41).

والعقيدة أيما كانت هي الجو العام الذي يتنفس فيه الإنسان وينطلق منه عند التعبير عن أحاسيسه (شريف، 2016م، ص 97). وبما أن الأدب ضرورة من ضرورات الحياة فالتوقع من كل أديب مثيل أن يهذب الحياة، ولا يستحسن منه أن يفسد الأخلاق البشرية أو يدفعها إلى الخلاعة أو الفساد، لأن جميع أحوال الناس كانت مادة له، يستغلها في فنه وينطلق من خلالها، وبوسع الأديب أن يؤثر في الجمهور المتلقين تأثيرا

إيجابيا عن طريق الأدب، فالعلاقة بين الأدب والدين هو أن الدين يعرض للحالات ليأمر وينهى وأما الأدب فيعرض لك هذه الحالات يجمعها ليقابل بعضها بعضا.

فالأديب المثيل الخالد ذكره يحتاج إلى أهداف وقيم معينة يلتزم بها، وتكون عنده بمثابة مادة يصب فيها أفكاره، يكتب أو يقول الشعر لأجلها، حتى يعيش مع معاصريه وغير معاصريه في أحاسيسه وعواطفه. وأما غيره فهو الأديب الذي يعمل لحالة واحدة في موضوعات إنسانية من السياسة والدين (شراد، 1992م، ص 68).

سخر الرافعي قسطا كبيرا من مقالاته لنقد الوضع الاجتماعي في بلاد المسلمين مستخدما فيها أساليب أدبية فنية رائعة. وكان يصدر في آرائه الأدبية والنقدية عن اتجاه إسلامي، فهو ما يحكم فكره وبوجه قلمه ويهديه إلى مكامن الخطر في القضايا اليومية، ويثير فيه الحمية الإسلامية. وقد جمع كثيرا من هذه المقالات في كتاب سماه "وحي القلم" في ثلاثة مجلدات، ومعظم ما جاء فيه نشر ما بين 1932-1937 في مجلة الرسالة بمدينة القاهرة.

5. نماذج من مقالات الرافعي

1:5 "مقالة وحي القبور"

هذا عنوان لمقالة من مقالات الرافعي، تجدها في كتابه وحي القلم، وهو بيان من الرافعي عن الحياة، معناها وهدفها، وقيمة الوقت المحدد لها، والموت والمعنى الكامن فيه. صاغ الرافعي هذه المقالة في صورة بلاغية بديعية، يؤكد فيها أنهم تكن التناقضات التي في الحياة الإنسانية إلا نتيجة اختلاف ميول الناس ونزعاتهم "كأن هذه الدنيا بكل ما فيها من المتناقضات، إن هي إلا مصنع يصوغ كل إنسان جانبا منه، ثم يقال له: هذه هي الأداة فاصنع ما شئت، فضيلتك أو رذيلتك" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 123).

يتعجب الرافعي من الذين لا يتعظون بالموت الذيل يزال يختطف فردا بعد فرد من الأفراد التي يتكون منها المجتمع. يصوغ حديثه في عبارة أدبية فنية يقول "جلست في المقبرة، وأطرقت أفكر في هذا الموت. ويا عجباً للناس! كيف لا يستشعرونه وهو يهدم من كل حياجزاء تحيط به قبل أن يهدمه هو بجملته؛ وما زال كل بنيان من الناس به كالحائط المسلط عليه خرابه، يتأكل من هنا ويتناثر من هناك؟!" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 124).

إن الوقت المحدد للناس في حياتهم كما ذهب إليه الرافعي ليس هو للنزاع الفاشل بل هو للعمل "يا عجباً للناس لا ينتهي! كيف يجعلون الحياة مدة نزاع وهي مدة عمل... وكلما تدافعوا بينهم قضية من النزاع فضربوا خصما بخصم، وردوا كيذا بكيد."

وأما عن غرور الأيام وتغافل الناس عن هذه الحقيقة فيقول:

"تأتى الأيام وهي في الحقيقة تفر فرارها؛ فمن جاء من عمره عشرون سنة فإنما مضت هذه العشرون من عمره. ولقد كان ينبغي أن تصح أعمال الحياة في الناس على هذا الأصل البين، لولا الطباع المدخول والنفوس الغافلة، والعقول الضعيفة، والشهوات العارمة؛ فإنه ما دام العمر مقبلا مدبرا في اعتبار واحد، فليس للإنسان أن يتناول من الدنيا إلا ما يرضيه محسوبا له أو محسوبا عليه في وقت معا؛ وتكون الحياة في حقيقتها ليست شيئا إلا أن يكون الضمير الإنساني هو الحي في الحي" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 124).

يقارن الرافعي بين القبر والبيت والمعدب في هذه العبارة الرصينة، إذ يثبت أن القبر لم يكن إلا بناء قائما لفكرة النهاية والانقطاع، وهو في الطرف الآخر رد على البيت الذي هو بناء لفكرة البدن والاستمرار، وبين الطرفين معدب، وهو بناء لفكرة الضمير الذي يحيى في البيت وفي القبر. فالقبر كالقاضي بين الخصمين يصلح بينهما صلحا أو يقضي، ويذكر الغافلين بالموت، وأنه إذا ماتت في الحياة كلمة الموت من غرور وأباطيل أو غفلة بقي القبر مذكرا بالكلمة شارحا بإظهار معانيها وداعيا إلى الاعتبار مبينا ما تنطوي عليه كلمة النهاية. ويشرح الرافعي معنى القبر:

"القبر كلمة الأرض لمن ينخدع، فيرى الماضي كأنه غير ماض فيعمل في إفراغ حياته من الحياة بما يملؤها من رذائله وخسائسه؛ فلا يزال دائبا في معاني الأرض واستجماعها والاستمتاع بها، يتلو في ذلك تلو الحيوان ويقتاس به، فشريعته جوفه وأعضاؤه؛ وترجع بذلك حيوانيته مع نفسه الروحانية كالحمار مع الذى يملكه ... القبر كلمة مكتوبة في الأرض إلى آخر الدنيا، معناه أن الإنسان حي في قانون نهايته، فلينظر كيف ينتهي" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 125).

والرافعي في مقالته هذه يجمع سمات قل أن تجمع لرجل في عصره، فهو مرشد ديني بأدق ما يؤدي معنى الإرشاد، لأنه يعظ وينبه على الغفلات في الحياة وما تجاهله الناس عن الحياة ومعناها الحقيقي، يذكر الناس بمسؤولياتهم التي خلقوا لأجلها، يذكرهم بأن الحياة في هذه الدنيا إن هي إلا صفحة تمهيدية للحياة الأبدية الخالدة، ولم يكن الناس إلا عابري السبيل.

جاءت هذه الإرشادات في صيغة أدبية لا من خلال سرد الآيات والأحاديث، كما تجد العبارات فيها مشبعة بأنواع التصويرات والتشبيهات والتجسيدات بأسلوب جذاب رشيق، تحس وأنت تقرأ المقالة وهي مرشدة مبكية كأنك تقرأ قطعة أدبية ممتعة.

2:5 مقالة "العيد"

للرافعي مقالة عنوانها العيد، يقرّ فيها أن المسلمين محتاجون جدا إلى أن يفهموا معنى العيد فهما جديدا وسليما، لأن العيد ليس معناه تجديد الملابس وزيادة ابتسامة على النفاق، فليس العيد كذلك مقصورا على اليوم نفسه بل في المعنى الكامن فيه. فالعيد عند الرافعي يجب أن يكون الفكرة العابدة، ولكن للأسف الشديد

أصبح الآن عيد الفكرة العابثة. وكل ما تهدف إليه الفكرة العابدة هو أن تجمع الأمة في إرادة واحدة عملية، ولكن عيد الفكرة العابثة يجعلها تخوض في تقليدات، وضروب العواث. ويؤكد هذا المعنى في قوله:

"كان العيد إثبات الأمة وجودها الروحاني في أجمل معانيه، فأصبح إثبات الأمت وجودها الحيواني في أكثر معانيه؛ وكان يوم استرواح من جدها، فعاد يوم استراحة الضعيف من ذله، وكان يوم المبدأ، فرجع يوم المادة" (الرافعي، ج 1، 2007م، ص 28).

والعيد كما يفهمه الرافعي يشعر المسلمين بأن فيهم قوة تغيير الأيام، وهو في الأمة يمثل يوماً تعرض جمال نظامها الاجتماعي، فهو يوم الشعور الواحد في نفوس الجميع، والكلمة الواحدة في السنة الجميع، وهو يوم الشعور بالقدرة على تغيير الأيام، لا القدرة على تغيير الثياب.

والعيد يعلم المسلمين كيف تقوي رابطتهم حتى يصبح البلد العظيم كأنه لأهله دار واحدة، يتحقق فيها الإخاء بمعناه الإلهي، ويظهر الإخلاص لدى الناس. وما الهدايا التي تعطى في العيد إلا هدايا القلوب المخلصة المحبة، فينبغي إذا أن يكون العيد إظهار الذاتية الجميلة للشعب من نشاط الحياة (بايشي وقدر، 2017م، ص 329). ولا يجدر أن يكون نشاطاً للأمة المستعبدة، بل يجعل الأمة تظهر للعالم أن لها طابعها الشعبي الذي يميزها عن سائر الأمم باستقلالها في وجودها وصناعتها.

والعيد عند الرافعي يعلم القوم كيف تواجه بقوتها حركة الزمن إلى معنى واحد كلما شاءت، فتجعل للوطن عيداً مالياً اقتصادياً، وللصناعة عيدها، وللعلم عيدها، وما الجمعة إلا عيد المسلمين وتهنئة لذلك المعنى.

3:5 مقالة "الأيدي المتوضئة"

هذه المقالة عبارة عن قصة تهدف إلى نقد للأمة الإسلامية. أجرى الرافعي هذا النقد على لسان راوي ينقد المظهر الديني الذي يتكلفه البعض من المسلمين. يخبرنا الراوي عن خطيب جمعة يحمل سيفاً خشبياً مزيفاً، وهذا الخطيب خالي من الصفات التي يجب أن يتصف بها الإمام والخطيب، وأما سيفه الخشبي الذي يحمله فهو مزيف من السيف الحقيقي، وهكذا هذا الإمام، يراه الرافعي كذبا على الإسلام والمسلمين، فهو كهنية سيفه الخشبي في كذبا على السيف ومعدنها وأعمالها.

وإذا ما معنى السيف الخشبي المزيف الذي يحمله الإمام؟

لم يكن هذا السيف المزيف عند الرافعي "إلا علامة الذل والضعف، والتراجع، والانتقال والإدبار، والهزل، والسخرية، والفضيحة، والإضحاك، ومتى كان الإسلام يأمر بنجر السيوف من الخشب ونحتها وتسويتها وإرهاق حدّها الذي لا يقطع شيئاً، ثم وضع في أيدي العلماء يعتلون بها ذؤابة كل منبر، لتتعلق بها العيون، وتشهد فيها الرمز والعلامة، وتستوحي منها المعنوية الدينية التي يجب أن تتجسم لتري" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 213).

وكان نقد الرافعي هنا موجهاً إلى وزارة المعارف والأوقاف التي وضعت هذا السيف الخشبي ثم أعطته للعلماء، فكان لهذا السيف الخشبي خطبة بجانب خطبة الإمام، وهذه الخطبة يفهمها الناس وهي معقولة،

وكان لسانها يقول "ويحكم أيها المسلمون! لو كنت بقية سفينة نوح التي أنقذ فيها الجنس البشري، لما كان لكم أن تضعوني هذا الموضع، وما جعلكم الله حيث جعلكم إلا بعد أن جعلتموني حيث أنا، تكاد شرارة تذهب بي وبكم معا، لأن في فيكم المادة الخشبية والمادة المتخشبة" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 213). ويحكم! لو كان لخطيبكم شيء من الكلام الناري المضطرم، لما بقيت الخشبة في يده خشية. وكيف يمثل إيماننا بإيمانه، وكيف يصعد المنبر ليقول كلمة الدين من الحق الغالب، وكلمة الحياة من الحق الواجب- وهو كما ترونه قد انتهى من الذل إلى أن فقد السيف روحه؟" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 214).

ويقول على لسان السيف "أيها المسلمون لن تفلحوا وهذا خطيبكم المتكلم فيكم، إلا إذا أفلحتم وأناسيكم المدافع عنكم. أيها المسلمون، غيروه وغيروني" (الرافعي، ج. 2، 2007م، ص 214). ويوجه الرافعي ملاحظة روحية للمنبر:

وأما المنبر "فما يريده الإسلام إلا أن يكون كمحطات الإذاعة: يلتقط كل منبر أخبار الجهات الأخرى، ويذيعها في صيغة الخطاب إلى الروح والعقل والقلب، فتكون خطبة الجمعة هي الكلمة الأسبوعية في سياسة الأسبوع أو مسألة الأسبوع؛ وبهذا لا يجيء الكلام على المنابر إلا حيًا بحياة الوقت، فيصبح الخطيب ينتظره الناس في كل جمعة انتظار الشيء الجديد؛ ومن ثم يستطيع المنبر أن يكون بينه وبين الحياة عمل" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 124).

ولم تقتصر مقالات الرافعي على الجانب الاجتماعي والديني بل له في السياسة مقالات صب فيها غضبه على المستعمرين والحكام.

5:4 مقالة "سر القبة"

هذه المقالة كتبها الرافعي بالنسبة لإجبار مصطفى كمال التاتوريكي المسلمين أن ينزعوا عماماتهم ويلبسوا القبة، لأن العمامة في رأيه تمثل الماضي والإسلام، وهو يريد أن يقطع صلة تركيا بكل ما له علاقة بالإسلام وتاريخه، وقد ادعى هو وأنصاره بأن العمامة تجعل صاحبها يفكر بطريقة رجعية. من أجل ذلك كتب الرافعي مقالته هذه ساخرا بأسلوبه الرمزي غير مباشر، فأجراها على لسان باشا. والمؤسف في هذا كله أن هذا الذي أجبره التاتوريكي على الأترك رغم أنوفهم قد اعتادها المصريون المسلمون، حيث اتخذوها منزلة العمامة، وصاروا يوجهون الضغط على من لا يستعملها، ويريدون بهذا أن يهينوا رأس المسلم تربية لا يمكنه السجود ولا الركوع، وينظرون إلى القبة كأنها هي كل التقدم. وبالجملة فإن أصل القبة تقليد تركيا لأوروبا، وهذه في حد ذاتها بدعة، فتقليد المصريين لتركيا بدعة أسخف من الأولى. يقول الرافعي:

"ليست القبة في تركيا هي القبة، بل هي كلمة سب للعرب ورد على الإسلام. ضاقت بها كل الأساليب أن تظهرها واضحة بينة، فلم يف بها إلا هذا الأسلوب وحده، وهو إعلان سياسي بالمناوأة

والمخالفة والانحراف عنّا وإطراحنا، فإن الذي يخرج من أمته لا يخرج منها وهو في ثيابها وشعارها؛ فبهذا انفتح لهم الخروج في القبة دون غيرها مما يجري فيه التقليد أو يبدعه الابتكار؛ وإلا فأى سر في هذه القبعات، ومتى كانت الأمة تقاس بمقاييس الخياطين...؟" (الرافعي، ج 2، 2007م، ص 260).

ثم سأل وهو مدهش: حتى متى يظل الشرق مستعبداً؟ فعلى الشرق أن يجد ويلح في الجد في البحث عن زي يلائمه فتكون القوى الكامنة فيه وفي طبيعة أرضه وجوه.

5:5 مقالة "قنبلة البارود لا بالماء المقطر"

كتب الرافعي هذه المقالة تشييداً لموقف طلبة الكليات في الجامعة المصرية، وتأييداً لآرائهم، ومسانداً لمبادرتهم، حين رفعوا الطلب إلى مديرها وعمدائها وأساتذتها يلتزمون فيه إدخال التعليم الديني في الجامعة، والفصل بين الشبان والفتيات.

قدم الطلبة هذا الطلب إلى إدارة الجامعة في سنة 1937م، ومما ورد فيه: " لا إصلاح إلا بعد إصلاح روح الشباب الناهض، حتى يكون له من قوة روحه، وسمو أخلاقه سلاح يحارب به الرذيلة وينصر به الفضيلة... ولا شك أن الأمة بأسرها قد أحست بنقص الناحية الدينية في المجتمع المصري، ونقص أخلاق الفرد ووطنيته طباعاً" (الرافعي، ج. 3، 2007م، ص 150).

افتتح مقالته هذه بالتحية والهتاف لشباب الجامعة المصرية، داعياً الله لهم: "حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية، لقد كتبت الكلمات التي تصرخ منها الشياطين، كلمات لو انتسبت لانتسب كل واحدة منهن إلى آية مما نزل به الوحي في كتاب الله" (الرافعي، ج 3، 2007م، ص 150).

يرى الرافعي أن طلب الطلبة ينحصر في ثلاثة طلبات:

1- تعليم الدين لطلاب الجامعة، 2- الفصل بين الشباب والفتيات، 3- إيجاد المثل الأخلاقي للأمة المصرية.

وبعدما رد الرافعي هذه الطلبات إلى الأصل من آيات القرآن دعا الله للطلبة، مشجعاً لهم ومفصل القول فيما تحمله كلمات شباب الجامعة من معان وتأثيرات، وما تشق من السبيل إلى النصر والقوة. إذ يقول:

"حياكم الله يا شباب الجامعة؛ لقد كتبت الكلمات التي يصفق لها العالم الإسلامي كله. كلمات ليس جديد على الإسلام، ولكن كل جديد على المسلمين لا يوجد إلا فيها. كلمات القوة الروحية التي تريد أن تقود التاريخ مرة أخرى بقوة النصر لا بعوامل الهزيمة... كلمات ليست قوانين، ولكنها ستكون سبب في إصلاح القوانين" (الرافعي، ج. 3، 2007م، ص 150).

ويوجه الرافعي خطابه إلى رجال الجامعة، ينبههم على خطئهم وتقصيرهم في تعليم الشباب بغفلتهم عن الدين والأخلاق، حيث يقول:

لا، لا؛ يا رجال الجامعة، إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر، فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق. وتقولون: أوروبا وتقليد أوروبا! ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا لخضوعنا لأوروبا.

وتقولون إن الجامعة ليست محل الدين، ومن الذي يجهل أنها بهذا صارت محلاً لفوضى الأخلاق. وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفي من الدين في المدارس الابتدائية والثانوية، فلا حاجة إليه في الجامعة...

أفترن الإسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط؛ أم تريدونه شجرة تغرس هناك لنقلع عنكم... لا، لا؛ يا رجال الجامعة، إن قنبلة الشباب المجاهد تملأ بالبارود لا بالماء المقطر (الرافعي، 2007م، ج 3، ص 152).

وأنهى الرافعي مقالته بالعبرة التشجيعية لشباب الجامعة قائلاً: قوة الأخلاق يا شباب، قوة الأخلاق...؛ إن الخطوة المتقدمة تبدأ من هنا. كانت هذه العبارة ما أنهى الرافعي بها كل فقرة من فقرات المقالة. ليدل على أن ما يدعوا إليه شباب الجامعة يتمحور على تشييد الأخلاق في الشباب والأمة.

6. الملاحظات حول مقالات الرافعي

معظم مقالات الرافعي تدور حول القيم الإسلامية، فهي إما ذود عن الدين ضد هجمات المستشرقين أو ثورة على حالة التدهور الاجتماعي التي يعيشها المجتمع الإسلامي. وقد استطعنا من خلال متابعة مقالاته وخاصة في كتابه وحي القلم أن نقف على حقائق عن أدب الرافعي المقال. وتتخلص فيما يأتي: الهدفية: يمتاز الأدب لدى الرافعي بالهدفية، إذ أنه يوظف مقالاته لمحاربة أعداء الإسلام من المستشرقين والمستعمرين وأذئابهم، وفي نقد المجتمع الإسلامي بأسلوب فني رفيع؛ وذلك ما يدل على أنه استطاع أن يوفق بين الأفكار والقيم الإسلامية والتجويد الفني. إن الأدب والدين عند الرافعي شيان متلاصقان، وكل منهما يدعو إلى تجميل الحياة وإسعادها. الدين يأتي بالقيم، والأدب يجسد هذه القيم، لذلك تجده دائماً حريصاً على دينه.

البراعة في التصوير: يبالغ الرافعي في التصوير، وفي استعمال الأدوات البلاغية، التي ينطلق من خلالها إلى إتقان أسلوبه في التجسيد والتصوير.

الطابع الذاتي: كان دائماً يطلق أحاسيسه حتى تكاد هذه الميزة أن تنقل مقالاته من الدائرة الكلاسيكية إلى الدائرة الرومانسية، وتتجلى هذه الميزة في عناوين بعض كتبه ومقالاته، مثل: السحاب الأحمر، ورسائل الأحزان.

إن مقالات الرافعي لجديرة بالبحث والاهتمام من الباحثين، لأنها كلها مصوغة بلغة أدبية رفيعة، وتجدها كذلك منسقة في النقد الأدبي والاجتماعي الصادر في أيامه، ومعظم هذه المقالات نشرها في مجلة "الرسالة".

7. الخاتمة

تبين في المقالة أسلوب الاحتكاك المعرفي الذي تبناه أبناء مصر لتحقيق النهضة العلمية والأدبية لبلادهم في شتى النواحي، أتبع الباحثان هذا المدخل بنبذة عن ترجمة حياة الأفغاني، ثم أهمية الدين والأدب عند الكاتب بإسهاب من خلال مقالاته النموذجية المختارة. وقد توصل الباحثان إلى النتائج التالية: 1- اتضحت من خلال مقالات الرافعي الأدبية السابقة اليقظة الدينية الجلية لأبناء مصر على الرغم من احتكاك ثقافتهم العربية والغربية المستوردة، 2- عبرت مقالات الأفغاني عن غيرته الدينية ووعيه الإسلامي، فهو أديب إسلامي، يوظف فنه الأدبي في خدمة الإسلام والمجتمع الذي يعيش فيه، 3- غطت المقالات المختارة القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية، 4- ظهر توظيف الرافعي للأسلوب الأدبي الرفيع، والذي نعتبره دليلاً على طول باعه في البيان العربي، وبرهانا على استقائه من معين البيان القرآني وبلاغة السنة النبوية، 5- جاءت عبارات الأفغاني في المقالات مشبعة بأنواع من التشبيهات والتصويرات والتجسيدات، قررت المقالة أن اتجه الرافعي في المقالات اتجاه إسلامي، إذ لا يكاد القارئ يقرأ كل مقالة من مقالاته إلا أن فيلفيها مرشدة ومبكية، تعشقها الأذان وتؤثر في القلوب. يوصي الباحثان أهمية المنهج الإسلامي عند معالجة المسلمين لقضايا الحياة، ومن أعلام المنهج كاتبتنا الرافعي الذي يعتبر في فنه الأدبي أديب الأمة العربية المسلمة، يعبر بلسانها ويدافع عن شرفها.

المصادر والمراجع

- ابن خلدون، (1983م)، مقدمة ابن خلدون، ط4، دار الفكر، القاهرة.
- أبو رية، محمود، (د.ت)، جمال الدين الأفغاني، ط2، دار المعارف، القاهرة.
- بايشي، عبد الحميد وقدور، عبد الله الثاني، (2017م)، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في الحراك السياسي العربي"، مجلة رفوف، جامعة أحمد دراية، أدرار، (11)، ص 329.
- تجاني، مصباح، (1998م)، مصطفى صادق الرافعي: عصره ومعاركه الأدبية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو.
- الرافعي، مصطفى صادق، (2007م)، وحي القلم، ج 1، دار ابن الهيثم، القاهرة.
- الرافعي، مصطفى صادق، (2007م)، وحي القلم، ج 2، دار ابن الهيثم، القاهرة.
- الرافعي، مصطفى صادق، (2007م)، وحي القلم، ج 3، دار ابن الهيثم، القاهرة.
- الرصافي، معروف، (1986م)، ديوان الرصافي، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- شرداد، شلتاغ عبود، (1992م)، الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ط1، دار المعرفة، دمشق.:

- شريف، طيب موفق، (2016م)، "وثائق حقوق الإنسان في الإسلام: قراءة في التراث الإسلامي"، مجلة رفوف، جامعة أحمد دراية، أدرار، (10)، ص 97.
- العريان، محمد سعيد، (1955م)، *حياة الراجعي*، مكتبة الاستقامة، القاهرة.
- ولدان، محمد لمين، (2018م)، "صور من آراء ابن حزم الأندلسي واجتهاداته الفكرية 384-456هـ/ 994-1063م: دراسة لمنهجه في الأديان والخلافة والإمامة والتقليد والاجتهاد"، مجلة رفوف، جامعة أحمد دراية، أدرار، (1)6، ص 132.